سيدي رسول الله الإنسان الكامل(في شمائله ومعجزاته)

عادل على العرفى–بنغازى–٢٠٢٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

-فَصْلٌ فِي الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ وَالْأَوْصَافِ الزَّكِيَّةِ:

تَعَالَى مَنْ صَاغَ جَمَالَ هَذَا الْوُجُودِ وَأَوْدَعَ سِرَّ حُسْنِهِ فِي أَكْمَلِ مَوْلُودٍ، وَبَعْدُ فَإِنَّ طَرْسَ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ سِفْرٌ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ بَلِيغُ الْكَلَامِ، وَتَتَحَيَّرُ فِي جُثَّةِ أَنْوَارِهِ عُقُولُ الْأَنَامِ، كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْهَى النَّاسِ طَلْعَةً وَأَنْوَرَهُمْ بَهْجَةً إِذَا أَقْبَلَ فِي مَحْفِلٍ أَوْ سَارَ فِي غَسَقٍ، تَرَى الضِّيَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ جَبِينِهِ الْأَزْهَرِ كَمَا يَتَفَجَّرُ نُورُ الْفَجْرِ الصَّادِقِ عَنِ الْأُفُقِ، جُمِعَتْ فِيهِ مَحَاسِنُ الْخَلْقِ فَكَانَ مَرْبُوعَ الْقَامَةِ لَا يَطُولُهُ بَائِنٌ وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، بَلْ هُوَ الْغُصْنُ النَّدِيُّ فِي رَوْضَةِ الْكَمَالِ النَّبَوِيِّ الْأَعْطَرِ، إِذَا مَشَى تَحَدَّرَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ فِي رِفْقٍ وَعَزْمٍ مَتِينٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعاً بِكُلِّ كِيَانِهِ الشَّرِيفِ لَا بِلَفْتَةِ الْمُسْتَوْفِزِ الْمُهِينِ، وَجْهُهُ الْمُسْتَدِيرُ يُمَازِجُ بَيَاضَهُ حُمْرَةٌ وَرْدِيَّةٌ بَهِيَّةٌ، كَأَنَّهَا سَبِيكَةُ عَسْجَدٍ أَوْ صَفْحَةُ مِرْآةٍ جَلِيَّةٍ، كَانَ رَحْبَ الرَّاحَةِ سَبْطَ الْأَطْرَافِ سَائِلَ الْأَصَابِعِ، تَتَفَجَّرُ مِنْ كَفَّيْهِ النَّعْمَاءُ وَتَفِيضُ بَرَكَاتُهَا فِي الْمَجَامِعِ، عَيْنَاهُ شَدِيدَتَا السَّوَادِ فِي بَيَاضٍ نَاصِعٍ بَيِّنٍ تَمْتَزِجُ فِيهِمَا مَعَالِمُ الْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ، تَحُفُّهُمَا هُدْبٌ طَوِيلَةٌ تُضْفِي عَلَى نَظَرَاتِهِ لَطَائِفَ الْأَسْرَارِ، وَإِذَا ضَحِكَ تَفَجَّرَ النُّورُ مِنْ ثَنَايَاهُ كَمَا يَنْبَثِقُ الْبَرْقُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ الرَّكُومِ، فَتَسْتَنِيرُ لَهُ الْبِطَاحُ وَتَخْضَعُ لِجَلَالِهِ شُمُّ الْقُرُومِ، شَعْرُهُ جَعْدٌ رَجِلٌ لَيْسَ بِالْقَطِطِ وَلَا بِالسَّبْطِ الْمُرْسَلِ، يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ أَوْ يَجُوزُ ذَلِكَ فِي حُسْنٍ مُفَصَّلٍ، رِيحُ عَرَقِهِ الطَّاهِرِ أَزْكَى مِنَ الْفَارِقَةِ وَأَطْيَبُ مِنْ نَفَحَاتِ الْعَنْبَرِ النَّفِيحِ، تَتَعَطَّرُ بِهِ الطُّرُقَاتُ إِذَا مَرَّ بِهَا فَيُعْرَفُ جَوَادُهُ بِالْأَرِيجِ الصَّرِيحِ، لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً وَلَا صَخَّاباً فِي الْأَسْوَاقِ، بَلْ كَانَ خَافِضَ الطَّرْفِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ عَلَى فَوْتِ الِاشْتِيَاقِ، كَلَامُهُ فَصْلٌ لَا فُضُولٌ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرٌ بَلْ هُوَ نَظْمُ الدُّرَرِ، تَتَلَقَّفُهُ الْأَسْمَاعُ فَتَشْفَى بِهِ مِنَ الْعِيِّ وَأَدْوَاءِ الصَّدَرِ، هَيْبَتُهُ تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرَاهُ فَتَعْرُوهُ الرِّعْدَةُ إِجْلَالاً لِسَنَاهُ، فَيَقُولُ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي مَكَّةَ الْمَحْمِيَّةِ بِحِمَاهُ، لَبُوسُهُ التَّوَاضُعُ وَزِينَتُهُ الْوَقَارُ الطَّبِيعِيُّ، يَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ لَا يَبْتَغِي صُدُورَ الْمَحَافِلِ بَلْ هُوَ

التَّائِه عَنِ التَّرَفّعِ الْوَضِيعِ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلّيهِ عَلَيْهِمْ مَقَاماً، وَيُحَذّرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَالِاحْتِرَامَا، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ لِيُصْلِحَ الْفَاسِدَ، وَيُحَسّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوّيهِ وَيُقَبّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِيهِ بِالْحَقّ الرَّاشِدِ، لَا تَقْصُرُ بِهِ النّيَّةُ عَنْ بَذْلِ النَّدَى لِلْقَاصِي وَالدَّانِي، وَلَا تَعْلُو بِهِ الْعِزَّةُ عَنْ إِجَابَةِ الْمُتَأَدّبِ وَالْعَانِي، بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ فِي النَّزَاهَةِ وَالْقَدَاسَةِ، وَسِرُّهُ كَعَلَانِيَتِهِ فِي الْعِصْمَةِ وَالرّيَاسَةِ، فَسُبْحَانَ مَنْ حَلَّاهُ بِحِلْيَةِ النُّورِ قَبْلَ بَرْءِ النَّسَمَةِ، وَمَنَحَهُ الشَّمَائِلَ الَّتِي تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الْأُمَّةِ.

- فَصْلٌ فِي الْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ:

جَلَّ مَنْ أَيَّدَ رُسُلَهُ بِالْبَرَاهِينِ الْعِظَامِ، وَأَظْهَرَ حُجَّةَ نَبِيّهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تَبْهَرُ ذَوِي الْأَفْهَامِ، وَبَعْدُ فَإِنَّ سِجِلَّ الْآيَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مليء بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، الَّتِي شَهِدَتْ بِصِدْقِهَا نَاطِقَاتُ الْجَمَادَاتِ وَصَامِتَاتُ الْكَائِنَاتِ، سَلْ كَفَّهُ الشَّرِيفَةَ حِينَ جَعَلَ فِيهَا الْحَصَى النَّادِي، كَيْفَ نَطَقَتْ بِالتَّسْبِيحِ الْمُطْرِبِ لِأَفْئِدَةِ الْهُدَاةِ فِي كُلِّ وَادِي، وَسَلْ جَيْشَ الْعُسْرَةِ حِينَ عَدِمُوا الْوُرُودَ وَجَفَّتِ الْمَزَادُ، كَيْفَ نَبَعَ الْمَاءُ النَّمِيرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَعُيُونِ السَّلْسَبِيلِ فَقَامَ لِلنَّاسِ الْمَعَادُ، فَرُوِيَتِ الْخَيْلُ وَالرّجَالُ وَمُلِئَتِ الْأَوْعِيَةُ بِالْمَاءِ الْمَعِينِ، وَصَارَتِ الْقَفْرَاءُ بِبَرَكَتِهِ رَوْضَةً تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَانْظُرْ إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ يَوْمَ سَأَلَتْهُ جَهَلَةُ الشّرْكِ خَارِقَةً لِلْعَيَانِ، كَيْفَ أَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ الْمُنِيرِ بِإِصْبَعِهِ الرَّقِيقِ الدَّانِ، فَانْفَلَقَ الْفَلَكُ نِصْفَيْنِ نِصْفاً عَلَى جَبَلِ صَفَا وَنِصْفاً عَلَى قُعَيْقِعَانَ، فِي مَشْهَدٍ ذَهَلَتْ لَهُ الْعُقُولُ وَأَخْرَسَ أَلْسِنَةَ الْجُحُودِ وَالْبُهْتَانِ، وَسَلِ الْجِذْعَ الْيَابِسَ فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ الشَّرِيفِ، لَمَّا ارْتَقَى الرَّسُولُ الْمِنْبَرَ الطَّاهِرَ وَتَرَكَ مَكَانَهُ النَّحِيفَ، كَيْفَ خَارَ الْجِذْعُ وَأَنَّ أَنِينَ النَّاقَةِ الْفَصِيلِ حَزَناً عَلَى فِرَاقِهِ، حَتَّى نَزَلَ السَّيِّدُ الْمَعْصُومُ فَاحْتَضَنَهُ وَسَكَّنَ لَوْعَةَ اشْتِيَاقِهِ، فَهَدَأَ الْخَشَبُ الصَّامِتُ بَعْدَ أَنْ أَشْهَدَ النَّاسَ أَنَّ لِلْجَمَادِ عَبْرَةً، تَنْتَفِضُ شَوْقاً إِلَى سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ وَتَبْتَغِي مِنْهُ نَظْرَةً، وَسَلِ الضَّبَّ حِينَ نَطَقَ فِي كَفِّهِ بِالرِّسَالَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالشَّاةَ الْمَسْمُومَةَ كَيْفَ أَخْبَرَتْهُ بِبَغْيِ الْيَهُودِيّ الْعَنِيدِ، وَسَلِ الشَّجَرَ كَيْفَ مَشَى إِلَيْهِ يَشُقُّ الْأَرْضَ شَقّاً لِيُظِلَّهُ فِي الصَّحْرَاءِ، وَكَيْفَ عَادَ إِلَى مَنْبِتِهِ طَائِعاً خَاشِعاً لِأَمْرِ سَيِّدِ الشُّفَعَاءِ، نَاهِيكَ

عَنْ نُزُولِ الْغَيْثِ بِدُعَائِهِ حِينَ يَشْتَدُّ الْجَدْبُ وَتَمُوتُ الْمَوَاشِي، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ كَفَّيْهِ النَّاصِعَتَيْنِ حَتَّى تَرْتَكِمَ السَّحَائِبُ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي، فَتُمْطِرَ السَّمَاءُ مِدْرَاراً بِفَضْلِ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْمُبَارَكِ النَّسَبِ، وَتَنْبُتَ الْأَرْضُ زَهْراً وَتَذْهَبَ عَنِ الْقُلُوبِ مَظَالِمُ الْكُرَبِ، وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ آيَاتٍ مَكْتُوبَةٍ فِي دَفَاتِرِ الدَّهْرِ بَيِّنَةَ الطَّرِيقِ، كَالْإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ إِلَى الْمَقْدِسِ ثُمَّ الْعُرُوجِ إِلَى السَّبْعِ الطَّرِيقِ، حَيْثُ جَاوَزَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَسَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ فِي مَلَكُوتِ الْجَلَالِ، وَشَاهَدَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى مَا يَقْصُرُ عَنْ نَعْتِهِ بَيَانُ الْمَقَالِ، ثُمَّ يَعُودُ فِي لَيْلَتِهِ وَفِرَاشُهُ لَمْ يَبْرُدْ تَشْرِيفاً لِقَدْرِهِ السَّامِي، وَإِعْجَازاً لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ الطَّامِي، فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ أَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الطَّاهِرَةِ، وَجَعَلَ دَعْوَتَهُ هِيَ الْعَالِيَةَ الْمَنْصُورَةَ الْبَاهِرَةَ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.